الصادق المهدي في محاضرة بجامعة قطر:

حماسة دينية نووية في السودان أعطت لقرنق مبرر الانفصال

أتمنى على سمو الأمير عقد مؤتمر إسلامي حول تجارب تطبيق الشريعة

سعينا لتجربة ديمقراطية «كاملة الدسم» وظروف التخلف أضعفتها

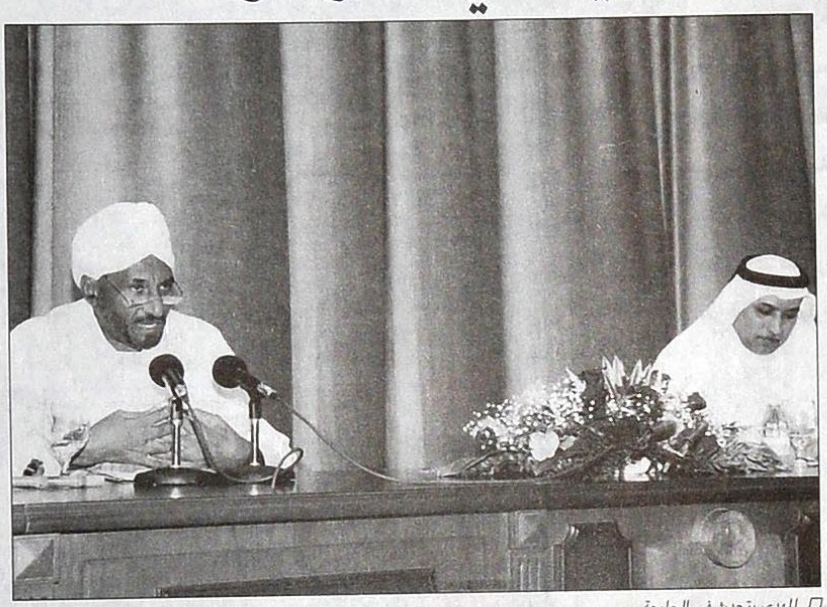

المهدي يتحدث في الجامعة

□ الدوحة - طه حسين:

اكد الصادق المهدي زعيم حزب الامة السوداني وجود حماسة دينية في السودان يمكن ان توصف بانها نووية من شدة قوتها وان استغلال هذه الحماسة اوقع السودان في خطأ كبير وتسبب في مشقات كثيرة نتجت عن عدم استيعاب مجموعات دينية اخرى بالبلاد وغذت الحرب الاهلية واعطتها سندا دوليا ومبررا للتدخل يوشك ان يتحول الى تدخل مباشر. واضاف المهدي في محاضرة بجامعة قطر مساء أول امس حول الوضع في السودان ان شعارات الانقاذ وفرت لجون قرنق كل الاسباب التي تجعله يطلب الدعم الخارجي من الدول والكنائس باعتبار انه مضطهد وان المسيحيين مضطهدون انطلاقا من شعارات استغلت الحماسة الدينية عند السودانيين. ونوه بهذا الخصوص الى خطورة استغلال شعارات تطبيق الشريعة التي تتمتع بشعبية مفرطة انطلاقا من العاطفة الدينية وجعلها منطلقا لتحقيق اهداف سياسية على النحو الذي انتهجه الرئيس السابق جعفر نميري في اواخر فترة حكمه للسودان. ودعا المهدي منظمة المؤتمر الاسلامي الى عقد مؤتمر يناقش التجارب الحديثة لتطبيق الشريعة الاسلامية في السودان وايران وباكستان واخيرا نيجيريا التي حدث فيها افتتاح لهذا الشعار دون ان يعرف مطلقوه ماذا يفعلون، واكد المهدي ان الوضع يستدعي عقد مثل هذا المؤتمر متمنيا على سمو الأمير بصفته رئيسا لمنظمة المؤتمر الاسلامي ان يدعو لمثل هذا المؤتمر ليناقش مناقشة موضوعية وليست للتشهير تجارب تطبيق الشريعة في الدول الاسلامية. وان التجربة سواء في السودان او في نيجيريا مؤخرا تستحق تقييما موضوعيا من علماء المسلمين ليقولوا رايهم وليضعوا منهجا لهذا الامر. واستعرض المهدي في المحاضرة التي حظيت بحضور قوي من جانب عدد من اعضاء السلك الدبلوماسي ورجال الفكر في قطر تجارب الحكم الشمولي والديمقراطي التي مر بها السودان مؤكدا ان الديمقراطية في ظروف التخلف تسبب ضعفا كبيرا، وان الدولة القوية في العالم الثالث هي التي تحكم بـ«الثبوت والقهر» ورغم ان المجتمع في السودان اقوى من الدولة إلا انه لم يستطع ان يبني جسدا سياسيا قويا وان كانت قوة المجتمع حالت دون استمرار الديكتاتورية وحتى التي استمرت فإنها حكمت وهي ملاحقة من الشعب الذي يظل أقوى اطراف المعادلة. وقال ان التحدي الذي يواجهه المجتمع السوداني الآن يخلق دولة قوية وديمقراطية وهي عملية بناء حضاري لايمكن ان تتحق حاليا حيث لم يبلغ المجتمع بعد الدرجة التي يفرز فيها هذا الجسد السياسي القوي الذي يتخصص بمؤسسات قوية. وتناول المهدي في محاضرته محطات في مسيرة السودان شكلت معالم للمجتمع وابرز هذه المعالم هي ان المجتمع السوداني اقوى من الدولة حتى ان النظم العسكرية المسلحة التي استطاعت ان تصل الى الحكم هي في حقيقة امرها من حاضنات الاحزاب وان الاحزاب هي التي فرضتها. وقال ان المشكلة في السودان نشأت بسبب عدم اكتمال تكوينه القومي حيث تسرب الاسلام والعروبة وكونا جزءاً من السودان تمددا فيه لكنهما انحسرا دون الجنوب وان الاستعمار عندما سطا على السودان اكتشف هذه الحقيقة وكرسها وعزل الجنوب ليصبح مجالا للتبشير وحاميا للفكر الاستعماري وان هذا الجنوب وجد أسباباً عديدة ليكون قوة بعد ان تلقى دعما وسندا خارجيا ادت إلى الانفصام المشاهد في الجسم السياسي السوداني ومن ثم الحرب الاهلية شبه الدائمة. ودفع المهدي الاتهام الموجه إلى تجربة حكمة وما سببته من تقوية لنزعة الانفصال في الجنوب مؤكداً ان استغلال ثورة الانقاذ للحماسة الدينية أوجدت الكثير من المبررات لدى قرنق ليطلب الدعم الخارجي الذي يوشك ان يتحول الى تدخل مباشر وان الموقف العسكري اليوم متمدد اكثر مما كان عليه عام ١٩٨٩ هو العام الذي شهد الاطاحة بحكومته على يد ثورة الانقاذ. وقال إننا كنا ومازلنا نتطلع الى تجربة ديمقراطية «كاملة الدسم» توافرت لها الارضية المناسبة والمهيأة غير انها تعثرت بسبب ظروف التخلف وعدم التدرج في التطبيق وانه كان يؤمل منها ان تتحول من ديمقراطية معيارية الى ديمقراطية مستديمة. وتناول المهدي البعد الافريقي في السودان مشبها اياه بانه افريقيا مصغرة وان هذا ما اعطى تجربته انعكاسا قاريا وان السودان بما خاضه من حرب اتضح ان أمنه وتنميته لن يتحققا الا في نطاق اوسع من قطره وأن من الضروري الاعتراف بقيمة حوض النيل والدول المجاورة كبعد هام في تنمية وأمن السودان. وأعطى المهدي في محاضرته اهتماما لقضية تطبيق الشريعة في السودان ورفع راية الجهاد التي رفرفت كثيرا أملاً في استغلال الحماسة الدينية لأهداف سياسية على نحو ما فعل النميري وعلى نحو ما فعلت ثورة الانقاذ في الجنوب مؤكداً انها تجارب ادت في النهاية إلى وجود المبررات القوية للتدخل الأجنبي، كما أن فريضة الزكاة صارت ضريبة على المسلم وصولا الى تجربة أسلمة المصارف التي جعلت المواطن السوداني يرى في سعر الفائدة رشوة من السماء وعاب على هذه التجارب بأنها تبدأ بالردع ومعاقبة الناس وكان الاسلام مؤسسة عقابية مستشهدا بكلام لأبي الأعلى المودودي يقول فيه «ومن أظلم ممن يتحدث عن الاسلام فيجعل آخر تدابير الاسلام أولها وإننا محتاجون إلى وضع منهاج لتطبيق الشريعة حتى لا نسيء إليها ونرتكب اخطاء اضرت بنا وطبيا واسلاميا وانسانيا. وسئل المهدي عن أسباب عودته الى السودان بعد خروجه وما اذا كان قد حصل على وعود عاد على اساسها؟ فأوضح انه رغم وجود نقاط خلاف مع الثورة الا ان النظام غير لهجته ويتحول من أحادي إلى ثنائي وأن هناك هامشا من الحرية في الداخل تنسخ أي دعوة للعمل من الخارج وانه لم يعد هناك مبرر لأولئك الذين يعارضون من خارج السودان.